عندما تحرف القراءات العصرية مفهوم «النبوة»

▫ لماذا تشابهت الآية 62 بسورة البقرة مع الآية 69 بسورة المائدة مع الآية 17 من سورة الحج؟
▫ ما السياقات التى تنزلت فيها الآيات الثلاث؟

د. محمد السعيد مشتهرى

لقد جاءت الآية الدالة على صدق «النبى» الخاتم محمد، آية عقلية، تشاهدها القلوب بآليات التفكر والتعقل والتدبر والنظر.. ولا تنتهى فاعليتها بوفاة النبى، وتظل قائمة بين الناس إلى يوم الدين.

وعندما يحمل القرآن الآية الدالة على صدق «النبى» الخاتم، ويطلب الله تعالى من الناس جميعا، بجميع مللهم ونحلهم، التحقق من صدق هذه «الآية»، ويقول لهم: «وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ».

ثم لا يستطيعون أن يأتوا بسورة من مثله، وإلى يومنا هذا، فهذا دليل على أن هذا الكتاب حقا «آية»، تقتضى الإيمان بها، وبالرسول الذى بلغها للناس.

إننى أنطلق فى هذا الموضوع من قاعدة الإيمان بأن هذا القرآن كلام الله، وآيته الدالة على صدق نبوة رسوله محمد، عليه السلام، وأنقل ما بينه القرآن فى هذه المسألة، للرد على الشبهات التى يثيرها أصحاب القراءات القرآنية العصرية، دون أى إسقاط على الواقع المعاصر.

لقد استقطع أصحاب القراءات القرآنية العصرية، بعض الآيات من سياقاتها، وقاموا بعزلها عن هذه السياقات، ثم جعلوها البرهان على أن جميع الملل والنحل المختلفة ستدخل الجنة، وإن لم تتبع النبى الخاتم محمدًا، ما دامت تؤمن بالله، واليوم الآخر، وتعمل صالحا، استنادًا إلى الآيات التالية:

١- قوله تعالى فى سورة البقرة «الآية ٦٢»:

«إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ».

٢- قوله تعالى فى سورة المائدة «الآية ٦٩»:

«إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ».

٣- قوله تعالى فى سورة الحج «الآية ١٧»:

«إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ».

ولبيان حقيقة هذه الشبهة والرد عليها، علينا أن نتدبر السياق الذى وردت فيه هذه الآيات الثلاث.

أولا: قوله تعالى فى سورة البقرة «الآية ٦٢»:

«إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ».

لقد جاءت الآية «٦٢» من سورة البقرة، فى سياق **الحديث** عن بنى إسرائيل، وكيف قابلوا نعم الله بالكفر، فا**ستحقوا** الذلة والمسكنة والغضب، فقال تعالى «الآية ٦١»:

* «وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ **فَادْعُ لَنَا** رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ **الأَرْضُ**... وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ **اللَّهِ ذَلِكَ**، بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ **الْحَقِّ ذَلِكَ** بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ».

ثم قال تعالى «الآية ٦٢»:

* «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ **مَنْ** آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ **عِنْدَ رَبِّهِمْ** وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ».

ثم يستكمل السياق قصة بنى إسرائيل وموقفهم من رسلهم، فيقول الله تعالى «الآية «٨٧-٨٨»:

* «وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ».

* «وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ، بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلاً مَا يُؤْمِنُونَ».

تدبر قوله تعالى: «أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ»، وهو البرهان على أن أتباع الرسل السابقين، مأمورون أن يؤمنوا بكل رسول يرسله الله إليهم، وأن عليهم اتباع رسالته.

ولقد كانت آخر الرسالات، هى الرسالة التى أرسل الله بها نبيه الخاتم محمدًا، عليه السلام، القرآن الكريم، وهذا ما بيّنه الله بعد ذلك بقوله «الآيات ٨٩-٩١»:

* «وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ».

* «بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْياً أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ».

* «وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا، وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقاً لِمَا مَعَهُمْ، قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ».

ويستكمل السياق قصة بنى إسرائيل، ويؤكد على وجوب الإيمان بالنبى الخاتم واتباع رسالته، فيقول الله تعالى «الآية «٩٩-١٠١»:

* «وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلاَّ الْفَاسِقُونَ».

* «أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْداً نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يُؤْمِنُونَ».

* «وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ».

ثم ينتقل السياق للحديث عن ملل الكفر التى كانت موجودة فى عصر الرسالة، فيقول الله تعالى «الآية ١٠٥»:

«مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ».

ثم يبين السياق كيف كانت هذه الملل تفترى على الله الكذب، فيقول تعالى «الآية ١١١»:

«وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَنْ كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ».

ثم يضع الله الميزان، والقانون العام، الذى سيحاسب **على** أساسه الناس جميعا يوم القيامة، فقال تعالى بعدها «الآية ١١٢»:

«**بَلَى مَنْ** أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ **وَلا خَوْفٌ** عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ».

وعند هذه الآية نكون قد وصلنا إلى ما أريد بيانه، وهو أن **هذا الوعد**: «وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ» يقوم على **قاعدة إسلام** الوجه لله تعالى: «بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ **وَهُوَ مُحْسِنٌ**»، فهل الملل التى وعدها الله بهذا الوعد، فى **سياق الآية** «٦٢» من سورة البقرة، والآية «٦٩» من سورة **المائدة: ظلت** متمسكة بإسلام الوجه لله تعالى بعد وفاة **رسلهم؟!**

إذن فما معنى «إسلام الوجه لله» فى السياق القرآنى؟!

يقول الله تعالى فى سورة آل عمران «الآيات ١٩-٢٠»:

* «**إِنَّ** الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلامُ، وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ **أُوتُوا الْكِتَابَ إِلاَّ** مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ، وَمَنْ يَكْفُرْ **بِآيَاتِ اللَّهِ** فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ».

* «**فَإِنْ** حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ، وَقُلْ **لِلَّذِينَ أُوتُوا** الْكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ، فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ **اهْتَدَوا**، وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ، وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ».

تدبر قوله تعالى: «فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ».

ثم بين بعد ذلك ما يجب أن تفعله الملل التى كانت **موجودة** فى عصر الرسالة بقوله: «فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ **اهْتَدَوا**».

إذن فـ«إسلام الوجه لله»، بعد وفاة النبى الخاتم، وإلى **يوم الدين**، يقوم على الإيمان بالنبى الخاتم محمد، واتباع **الكتاب** الذى أنزله الله عليه: «فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا»، **وهذا ما** بينته بعد ذلك «الآيات ٨٤ - ٨٥» من سورة آل **عمران**:

«**قُلْ آمَنَّا** بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ **وَإِسْمَاعِيلَ** وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى **وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ** مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ **مُسْلِمُونَ**».

تدبر قول الله تعالى: «وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ»، ثم قوله **بعدها:**

«**وَمَنْ يَبْتَغِ** غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ **مِنَ الْخَاسِرِينَ**».

ولقد وردت «الآية ٨٤»، السابقة، فى سياق مشابه فى **سورة البقرة** «الآية ١٣٦»، وقال الله تعالى بعدها:

«**فَإِنْ آمَنُوا** بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا **هُمْ فِي شِقَاقٍ** فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ».

وبمقابلة الآيتين نعلم، وبالدلالة القطعية، أن الله تعالى **أمر جميع** الملل والنحل التى كانت موجودة فى عصر الرسالة، **الإيمان برسول** الله محمد، واتباع رسالته، وهذا ما جاءت **«الآية** ١٧٠» من سورة النساء تؤكده، فيقول الله تعالى:

«**يَا أَيُّهَا** النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا **خَيْراً لَكُمْ** وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَكَانَ **اللَّهُ عَلِيماً** حَكِيماً».

والسؤال: إذا كان جموع الناس، بجميع مللهم ونحلهم، **الذين خاط**بهم الله بهذه الآية فى عصر الرسالة، مأمورين **بالإيمان برسول** الله محمد:

«**فَآمِنُوا** خَيْراً لَكُمْ».

وباتباع رسالته:

«**قَدْ جَاءَكُمُ** الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ».

فكيف يدعى مسلم، يؤمن بالوحدانية، وبأن هذا القرآن **كلام الله** تعالى، أن دخول الجنة لا يُشترط فيه الإيمان بالنبى **الخاتم**، واتباع رسالته؟!

مَن أهل الكتاب الذين خاطبهم الله تعالى فى الآية 19 بسورة المائدة؟

لماذا سيكون الفصل بين أصحاب الملل المختلفة يوم القيامة؟

هل الإيمان بالنبى محمد شرط لدخول الجنة؟

وإذا كان الناس جميعا يوم القيامة، وبعد وفاة النبى الخاتم، وإلى يوم الدين، يقوم على الإيمان بالنبى الخاتم محمد، واتباع الكتاب الذى أنزله الله عليه: «فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا»، وهذا ما بينته بعد ذلك «الآيات ٨٤ - ٨٥» من سورة آل عمران:

«قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ **وَإِسْمَاعِيلَ** وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى **وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ** مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ **مُسْلِمُونَ**».

تدبر قول الله تعالى: «وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ»، ثم قوله **بعدها:**

«**وَمَنْ يَبْتَغِ** غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ **مِنَ الْخَاسِرِينَ**».

ولقد وردت «الآية ٨٤»، السابقة، فى سياق مشابه فى **سورة البقرة** «الآية ١٣٦»، وقال الله تعالى بعدها:

«**فَإِنْ آمَنُوا** بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا **هُمْ فِي شِقَاقٍ** فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ».

وبمقابلة الآيتين نعلم، وبالدلالة القطعية، أن الله تعالى **أمر جميع** الملل والنحل التى كانت موجودة فى عصر الرسالة، **الإيمان برسول** الله محمد، واتباع رسالته، وهذا ما جاءت **«الآية** ١٧٠» من سورة النساء تؤكده، فيقول الله تعالى:

«**يَا أَيُّهَا** النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا **خَيْراً لَكُمْ** وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَكَانَ **اللَّهُ عَلِيماً** حَكِيماً».

والسؤال: إذا كان جموع الناس، بجميع مللهم ونحلهم، **الذين خاط**بهم الله بهذه الآية فى عصر الرسالة، مأمورين **بالإيمان برسول** الله محمد:

«**فَآمِنُوا** خَيْراً لَكُمْ».

وباتباع رسالته:

«**قَدْ جَاءَكُمُ** الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ».

فكيف يدعى مسلم، يؤمن بالوحدانية، وبأن هذا القرآن **كلام الله** تعالى، أن دخول الجنة لا يُشترط فيه الإيمان بالنبى **الخاتم**، واتباع رسالته؟!

هذه ليست أحاديث صحيحة

«قال الله تعالى: إنك إن ظلمت تدعو على آخر من أجل أنه ظلمك، وإن آخر يدعو عليك أنك ظلمته، فإن شئت استجبنا لك، وعليك، وإن شئت أخرتكما إلى يوم القيامة فأوسعكما عفوى».

«ضعيف»

ق

«حين يكون العمل بالعقل أمرا من أوامر الخالق، يمتنع على المخلوق أن يعطل عقله مرضاة لمخلوق مثله، أو خوفا منه، ولو كان هذا المخلوق جمهرة من الخلق تحيط بالجماعات وتتعاقب مع الأجيال».

عباس محمود العقاد